



-1-

من حيث لم يتوقع أحد ولدت في سوريا ثورة. في الثامن عشر من كانون الثاني 2011 ظهرت إلى الوجود صفحة حملت الاسم المحرّم "الثورة السورية ضد بشار الأسد". دعت الصفحة إلى الخروج في "يوم غضب" سوري في الخامس من شباط، وفشلـت المحاولة. كررت الصفحة الدعوة في الرابع عشر من آذار، وفي اليوم التالي خرجت مظاهرة الحميدية الشهيرة. لقد انفجر البركان الذي لن يحمد بعد ذلك أبداً بقدرة الله. لقد بدأت أعظم ثورات العصر الحاضر وواحدة من أعظم الثورات في التاريخ.

-2-

لم تكن مظاهرة الحميدية "مظاهرة دمشقية" بقدر ما كانت "مظاهرة سورية"، مشى فيها بضع مئات من أبناء دمشق وريفها ودرعا وحمص والجزيرة وغيرها من المناطق والمحافظات. قد تُنشر التفاصيل ذات يوم فنعرف الرواد الأوائل بأسمائهم وقد لا يعرفون. وما يضرّهم عُرِفوا أم لم يعرّفوا في سجلات أهل الأرض وقد حُفظت أسماؤهم في سجل السماء الذي لا يَبْلَى، وسوف يجدون جزاءهم في عَلَيْين عندَ من لا يضيع عنده أجرُ العاملين؟

-3-

في ذلك اليوم المشهود مشى في مظاهرة الحميدية التاريخية عدد من شبان داريا الذين حملوا مشعل ثورتها فلم تخمد شعلته في أيديهم بعد ذلك قط. في اليوم التالي شارك بعض أبناء داريا في اعتصام الداخلية، فاعتُقل منهم ثلاثة شبان وفتانان، وحينما تفجرت المظاهرات بعد ذلك بيومين في درعا وحمص ودمشق وبانياس -في "جمعة الكرامة"- كانت حيطان داريا قد طُليت بشعارات الثورة فانتشر الأمن الجوي في الشوارع والحرارات وحال دون خروج المظاهرات. في الجمعة التالية، "جمعة العزة"، لم تستطع عصابات الأمن وقف الغضب الديراني. في ذلك اليوم انضمت داريا إلى الثورة بكل عنفوانها، ثم لم تخرج من أليوم الثورة بعد ذلك أبداً.

-4-

لن يستطيع أحد أن يحصي مدن سوريا الثائرة، فإن المجد يجلّ الأرض السورية كلها من أدناها إلى أقصاها، فهي بين متقدم سابق ومتأخر لاحق، وفي كلٍّ خير. لكن المدن كلها تمنتت باستراحات وإجازات في بعض الأوقات، إلا داريا، المدينة التي لم تتوقف عن الثورة يوماً لاماً كانت ثورتنا سلمية، ولم يَضْعْ أبطالها الميامين السلاح يوماً منذ حملوا السلاح، فهي أبداً أرض الحرب وهو أبداً أهل الرباط، ولقد تساقط في طريق الثورة من تساقط وهم ثابتون، وينس فيها من يئس وهم لا ييأسون.

-5-

لم يسجل كتاب الثورة أن داريا ارتحلت يوماً منذ بدأت ثورة الشام المباركة. خمسة أعوام من الثورة بلا ملل، أربع سنين من الحصار والقصف والتدمر ولا خضوع، سبعة آلاف برميل ولا استسلام. لقد غدت داريا "سرابيفو سوريا"، "ستالينغراد سوريا"، لقد غدت "أيقونة الثورة السورية". فهل تفرّط الثورة في أيقونتها؟ هل تتخلى الثورة عن البلدة التي لم تتخّل يوماً عنها؟ **أهكذا يُردّ لهؤلاء الصادقين الصامدين الصابرين الجميل؟**

إن التاريخ الذي سجّل أمجاد داريا ما زال يسجل، فلينظر كل قادر على نجدة داريا وكل جار لها و قريب: كيف يحبّ أن يظهر اسمه في سجلات التاريخ؟

الزلزال السوري

المصادر: